

الرؤية التنويرية في نص وإن زحفوا فللدنيا هدير للمشاعر: محمود مفلح



محمود مفلح - فلسطين

هنا قدومنا أيضاً شوق
هنا قدومنا أيضاً شوق
على دما وثرمنا الشوق
ولا وجه الطفولة مستقر
ولا زهر الربيع به نضو
وأصبح حزنهم هم
ومنازل لكل قاطنة حزين
والأقصى حد لهم الأمل
يتصور حين يلقا الصبر
به راحت دولهم كسوف
ومن بعد الظهور لهم ظهور
فعلهم سبيلنا قمر منور
لنا قسم لهم ولا نسو
يرشدنا لهابتنا صبر
لهم طمأنينة لنا شوق
به غمرنا نحن الشوق
يحفونا الضاحك فلنا نضو
ونمشي والنور لنا شوق
وشعب القدس لهم له نور
ولا غشيت شوقنا نور
عليه فلا يفسد ولا يفسد
و به الحبات نهر المصير

شعر

و إن كانت هذه الناس نصف
و إن كانت عمومهم رماد
فهي والتواقد مشرعات
فلا الأطفال في بني مغار
ولا محصل الشئ من شئ
لقد نكر الصغار على الأماني
وصار لكل ملهمة إسم
والشربون به دهمهم شفاء
فما نزلت نساغهم في دجاجة
جبال كثر شرفهم وسبح
ومن قبل الصلاة لهم صلاة
أقول لوجه الأمل
يمن على القوافل أن تروا
أبعدنا ينطقه هي
ويجدا الطمأنينة كما أروا
كنا به سيد الدرع
نصلي بالشعور فلا نورا
ونأكل حسوا من غير طبع
كل الحس ليس لها رجال
ولا كيت حلاصنا مواش
وأصب نيك بعض القوم نيك
و نهر السلا وس طمنا

٨٠ الأدب الإسلامي العدد ٦٤

إذا كانت مصطلحات النقد الثلاث (الرؤيا والمنهج والمصطلح) ما زالت على عتبات التجديف النقدي العربي فإن نصا كنص الشاعر محمود مفلح المسمى (وإن زحفوا فللدنيا هدير) (*) قد استطاع أن يشرع أجنته باتجاه بؤصلة الرؤيا العربية الإسلامية للجهاد العربي الفلسطيني الذي يمثل نقطة الانطلاق الأولى لنبد كل معطيات الزحف الصهيوني الصليبي الذي يحاول أن يعيد الكرة في سيطرته على المشرق العربي، ونحن نعرف أن فلسطين هي نقطة البدء، وأن القدس هي محطة الاستراحة الأولى التي عول عليها أتباع الاستعمار والذين جاؤوا يحملون إلى الشرق عودة المسيح الدجال بصورته (البوشية).

إذن نحن أمام نص يرسم فيه شاعرنا رؤية جديدة قديمة لمنطلقات الجهاد ضد المستعمر، ويؤطر فيه لمعان عروبية إسلامية تستحث الخطأ باتجاه العودة إلى تخليص القدس من قبضة مفتصبيها، والذين يحاولون في هذه المرة أن يهودوها ضمن أسطورة مملكة سليمان التي تمثل من وجهة نظر الآخر نقطة النهاية لتشرذم اليهود الذين اقتلعوا من الأرض العربية أصحابها، وأحلوا مكانها مجموعة من الشراذم تتسافد على عتبات المسجد الأقصى معلنة عصراً جديداً.



د. حسين علي الهنداوي - سورية

* نشرت في مجلة الأدب الإسلامي في العدد الخاص عن القدس برقم ٦٤، ص ٨٠-٨١.

لقد رسم لنا الشاعر محمود مفلح كعادته صورة مسيرة الكفاح الفلسطيني الذي يبدو أنه يتعثر على أيدي البعض بحيث يرتضي هذا البعض بألقاب ونياشين يتزيا بها على حساب الملاحم العربية التي تأبى إلا أن تعيد ما استلب من الحق العربي وكأنني به حين يقول:

كأن القدس ليس لها رجال

وشعب القدس ليس له جنود

ولا كتبت ملاحمنا مواض

ولا عشقت شواهدنا نسور

يريد أن يرسم صورة لهذا الوهن العربي الذي أطبق بفمه الفاجر على كل النفوس فحولها إلى ركام من الحجارة أو إلى رماد أسود، اللهم إلا أولئك الصبية الذين يسخرون من الذين يتاجرون في أسى الأم الفلسطينية ودماء الطفولة، فيقفز إلى صورة أخرى تستلب عمق اللاشعور، وتحمل البعد اللامنطقي الذي يرجع معادلة الحق والباطل، ويحملها باتجاه بوصلة الموت.

وأعجب كيف بعض القوم يُبغى

عليه فلا يفار ولا يغير

وتهتز البلاد ومن عليها

وفي الحانات تهتز الخصور

حقاً إن الخصور تهتز في الحانات على جسد القدس، فكم من كلب عقور نهش هذا اللحم الفلسطيني! والأدهى والأمر أن تهن عزيمة بعض الفلسطينيين لتقبيل الأكف مضیعة الأمانة وراضية بسلم متوهم (صغير ساقه بطل صغير).

«البعد الفني في النص»

إذا كان الجاحظ يؤكد في رؤيته النقدية على أن المعاني ملقاة في الطرقات يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والحضري، وإنما المعول عليه في لباس هذه المعاني ثياباً جديدة تحمل في صورتها البعد المشرق للجمالية الفنية، فإن النص الذي بين أيدينا: (وإن زحفوا قللدينا

نص وإن حمل بين جنبیه هموم الجهاد العربي الإسلامي الفلسطيني بشكل خاص إلا أنه عكس ذلك على عروبية هذا الجهاد الذي مثله في هذا العصر الصعب (والذي تخلت فيه الكثير من الزعامات العربية عن مهمة استرداد ما سلب من الأرض) أطفال فلسطين، وتلك معادلة صعبة حين يتخلى الرجال وتبيري سواعد الأطفال لتعيد السلب من الأرض أو على الأقل لتثبت أقدام الأجيال القادمة على هذه الأرض لعل وعسى أن ينطلق (صلاح الدين آخر) يعيد ما سلب من كرامة وأرض وعرض.

صورة عرضها الشاعر من خلال الوهن الذي أصاب الأمة، وأخص بالذكر ما أصاب رجالاتها فأصبحت الهموم رماداً لم يبق من جمره إلا سفير الطفل الفلسطيني الذي لا يتوانى أن يشتعل في كل لحظة نارا على أعدائه ونوراً لأبناء جلدته:

إذا كانت قدور الناس تصفو

فإن قدورنا أبداً تظور

وإن كانت همومهم رماداً

فإن هموم أصفرنا سفير

نفني والنوافذ مشرعات

على دمننا وترمقنا القبور

هذه التفاضلية التي تقفز من ذاكرة الشاعر تؤكد أن بریق الأمل ما زالت أضواؤه تتلألأ في سماء القدس التي خصها الشاعر بهذه القطعة من كبده على الرغم من الدماء التي ما زالت تثعب من الجرح الطفولي الفلسطيني الذي حول وجه الطفولة الفلسطينية إلى تجاعيد تخفي في أسرارها العزيمة والإصرار على سحق كل من يريد أن يجعل من القدس هيكلاً جديداً يفني أمامه نشيد الموت العربي.

وقد أوحى لنا الشاعر بذلك حين أشار إلى أن وجه الطفولة الفلسطينية لم يعد مستديراً كالوجوه الأخرى، بل أضاف إلى هذا الوجه الهمم الطفولي الذي توقد أتوناً مستعرة لتجعل الخبز الفلسطيني هو إزالة هذه الطفمة التي تسعى بشكل حثيث لتهويد القدس.



وكأننا بالشاعر يُؤطر للمحمة ينتهي فيها صوت الباطل،
وتعلو رايات الحق حاملاً بين جنبات نصه مفردات ترسم
بريشتها الألم الفلسطيني العربي المغموس بدماء الأطفال،
والذي يستمد زيتُه من جذور زيتون تلك الأرض.

وإذا كان الشاعر لا يتمذهب بمذهب أدبي في نصه هذا
إلا أنه غمس ريشته الفنية في تجارب شعراء عظام وأخرج
لنا جعبة جديدة تميز بها من خلال نصوصه المعهودة،
فقد كان بحترياً في سلاسته، وتامانياً في إيحائه، ومتنبياً
في بنائه الشعري الذي انطلق من مقولة الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه

وهذه هي صورة الشاعر محمود مفلح في نصه تحمل
إشراقات المستقبل مبشراً بفد جديد تخفق فيه رايات
الفرح العربي على روابي القدس لأن نبت القدس كما
يقول ليس له نظير.

نعم ثاروا وعدتهم حجار

ونحن - القاعدين - متى نثور

دماؤهم على الساحات مسك

ويمضي للعبير بك العبير

فنبت القدس ليس له نظير

وحاشى أن يكون له نظير ■



هدير) وإن كان لا يخرج في إطاره العام عن منهج الشعر
العربي المتمثل في وحدة البيت والقافية إلا أنه يحمل إلينا
في جنباته بعداً درامياً يعتمد على المفارقات التي تبرز
تناقض الضعف العربي والهمجية الصهيونية:

يتاجر من يتاجر في أسانا

وينهش لحمنا كلب عقور

إلى أعناقنا مدت نصال

وأحقر ما بها تصل أجير

رجالاً أصبح الأبطال فينا

وفي قلب الصراع لهم زئير

فلا تعجب وليس لهم رصاص

إذا وقعت على الموت الصدور

حمامة الحرم

— خير الدين الزركلي - السعودية —

ألا ليتني حول المقام حمامة

يرفرق بين المروتين جناحي

أروح وأغدو حيث شاء لي الهوى

طليقاً غُدُوّي في يدي ورواحي

أبيت قرين العين أنعم بالكرى

مسائي ممسى غبطة وصباحي

أزق فراخي هاتفاً لهاتفها

وأرشفها من ماء زمزم راحي

وآمن لا دهري يروع بظلمه

ولا أهله يغشونني بسلاح